تمهيد

ظاهرة التطرف والعنف من الظواهر المستجدة فى ساحة واقعنا الثقافى وتناولها الكثيرون بالتحليل.. ولكن فى الحقيقة هذه الظاهرة هى ظاهرة عالمية وتشغل بالتصدى لمعالجتها عديد من الدول المعنية وأهم المشروعات المستقبلية المعنية برصد أهم ملامح الصراع فى ظل «نظام عالمى» جديد تتنازعه مفاهيم «الكوكبية» Globalism من ناحية والصراعات العرقية Ethnic Conflicts من الناحية الأخرى.

وفى إحدى الدراسات المستقبلية المهمة يرصد عالم المستقبليات جيروم جلن فى كتابه بعنوان العقل المستقبلى: الذكاء الصناعى(١). إحصائية وردت عن مؤسسة راند تقول بأن «الإرهاب ينمو فى عالم اليوم بنسبة ١٠ إلى ١٢ ٪ سنوياً. وطبقاً لهذا المعدل فإننا نتوقع حدوث ثلاثة أحداث إرهابية فى اليوم فى عام ٢٠٠٠» وإذا أردنا أن نتدخل إنسانياً وعلمياً لوقف نمو هذا السيناريو المخيف، فإن علينا أن نتعامل مع هذه الظاهرة بأساليب وتوجهات علمية وأمنية متعددة. وأرى أن لمصر دوراً خاصاً فى هذا الصدد بحكم موقعها الجغرافى المتميز ودورها الإنسانى على مدى التاريخ من ناحية، وبحكم أنها أصبحت تكابد مع هذه الظاهرة داخلياً فى العقدين الأخيرين.

حيث إننى أرى ـ ومنذ فترة طويلة ـ ارتباط المعالجة الداخلية بالخارجية. وقد ركزت على هذه الرؤية فى مقالين بجريدة الأهرام فى بداية التسعينيات، أولهما بعنوان «التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه» (١٩ ـ ٢٠ ـ ١٩٩٢) والثانية بعنوان: لغة التطرف والإرهاب بين «تكنولوجيا العداء» و«المبدأ الديمقراطى» (٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٩٢) ـ فإننى وفى هذه الدراسة أود أن أركز على معالجة الظاهرة علمياً على المحورين الداخلى والخارجى معاً لأهمية هذا الربط؛ خاصة وأن هناك جذوراً مشتركة على الصعيدين الداخلى والخارجى لمعالجة هذه الظاهرة.. خاصة وأن الإعلام سواء على صعيد إعلامنا أو على صعيد الإعلام الغربى قد ساهم كثيراً فى خلط الأوراق، واستخدام المصطلحات دون تحديد دقيق أحياناً، وفى أحيان أخرى ساهم الإعلام فى «اغتيال المعنى» وتفريغه واختراله.. وكان لابد من مثل هذه الدراسة التى تحاول تحقيق الأهداف التالية، التى تمثل فى نفس الوقت أقسام هذه الدراسة، وهى:

(١) تقديم عرض نقدى لمجرة المصطلحات المستخدمة مثل «الأصولية»، «التسلط»، «الإرهاب»، «التطرف»، «التعصب»، «الانغلاق»، «الاستبداد» «الإطلاقية»، «الدجمائية»، «الثيوقراطية» «التأطير» ومجرة هذه المفردات / المصطلحات، والخلوص إلى فهم وظيفى للمقصود بها.

(٢) باعتبار أن التسلط هو المصدر الرئيسى لإنتاج خطاب التطرف والإرهاب، تقدم هذه الدراسة تحليلاً لتنوع هذا الخطاب، وإستراتيجيات ممارسته الواضحة والخفية؛ وحالات اللاتفاوض الناتجة عن هيمنته، وذلك من خلال عديد من الأمثلة المتعددة المستمدة، من سياقات عديدة من واقع تفاعلاتنا الثقافية، ومن واقع تفاعلات الإعلام الغربى أيضاً.

(٣) تقديم تصور لأهم عناصر مباريات ثقافة التفاوض الإيجابى، والتى نعتبرها الوسيلة والبديل الصحى لمواجهة آليات خطاب التسلط والتطرف.. فهى البديل وكذلك تمثل المفهوم المحورى للتعليم فى القرن القادم.

(٤) تقديم تصور مبدئى للإستراتيجيات، التى ينبغى أن يأخذها صانع القرار بعين الاعتبار لمواجهة انتشار وهيمنة خطاب التسلط والتطرف والعنف داخلياً وخارجياً.. وإذا كانت سلبيات خطاب التسلط والتطرف والعنف لها أمثلة عديدة على ساحة تفاعلاتنا، إلا أننى أقصر الأمر على هذه الساحة فقط، بل إن ساحة التفاعلات الدولية تموج هى الأخرى بعديد من هذه الأمثلة.و من هنا فإننى أقترح خطاب ومباريات ثقافة التفاوض الإيجابى؛ لتكون فى مواجهة هيمنة خطاب التسلط والتطرف وآلياته الواضحة والخفية.